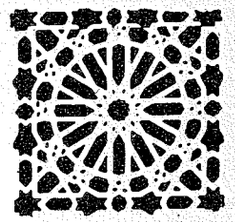

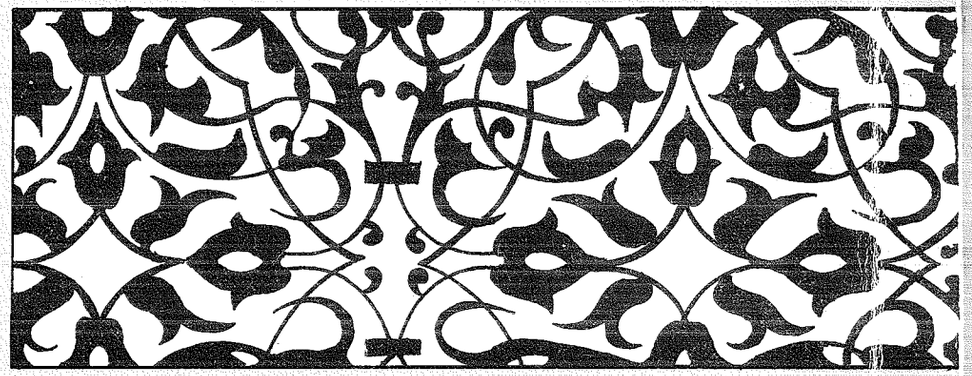

الدستور

الدكتور محمد عبد الله دراز

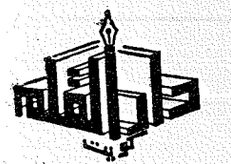

تطلب جميع منشوراتنا من :

دار القلم الكويت

شارع السور - عمارة السور - بجوار وزارة الخارجية القديمة

ص . ب : ٢٠١٤٦ - ت : ٢٤٥٧٤٠٧ / ٢٤٥٨٤٧٨

دار القلم دبي

طريق النفق - بناية الشيخ راشد القديمة

ص . ب : ١١٨١٧ - هاتف : ٥٢٨٠٠٣

دار القلم القاهرة

٣٦ ش القصر العيني - ص . ب : ٦٥ مجلس الشعب

القاهرة ت : ٣٥٥١١٠٥

İSAM Kütüphanesi

دراسات إسلامية

في العلاقات الاجتماعية والدولية

تأليف
الدكتور محمد عبد الله دراز

Türkiye Diyanet Vakfı
İslâm Araştırmaları Merkezi
Kütüphanesi
Demirbaş No: 141218
Tasnif No: 297.84
DİA.D

دار القلم
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م
الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤ م

دار القلم للنشر والتوزيع
شارع السور - عمارة السور - الطابق الأول
هاتف: ٢٤٥٧٤٧٠ - ٢٤٥٨٤٧٨ - برقيا توزيعكو
ص.ب ٢٠١٤٦ الصفاة 13062 الكويت

القرآن الكريم

كان نزول القرآن الكريم اكبر معجزة. نزل على النبي في آيات غير متساوية الطول، وفي أوقات مختلفة، خلال فترة امتدت ثلاث وعشرين سنة.

وكان الرسول كلما تلقى آية من الوحي تلاها على مستمعيه، وهم بدورهم أعادوا تلاوتها على الجماعات التي كانت مؤلفة من اناس شغوفين بالأدب وينظرون بشوق ولهفة نزول الآيات سواء كانوا من الموالين او الخصوم.

وعندما كان النبي ﷺ يملي كل آية جديدة على الكتّاب كانوا يعمدون الى تدوينها على أي شيء تقع ايديهم عليه سواء كانت حجارة بيضاء رقيقة او قطعاً من الرق او الخشب او الجلد او أي شيء آخر يكون في متناول ايديهم.

وتحصي الأحاديث النبوية تسعة وعشرين شخصاً في المدينة المنورة عملوا كاتبين لأسرار النبي، وأقل منهم عدداً كتاباً يدونون السور التي أنزلت على النبي في مكة المكرمة. ولم يأل «الأمين» جهداً - منذ البداءة - في تسجيل ما أنزل عليه من الآيات، حتى ايام الاضطهاد. وكان من بين أولئك الكتاب الذين عملوا على تدوين آيات الله الخلفاء الراشدون: ابو بكر وعمر وعثمان وعلي ثم معاوية.

هكذا عُرف كِتاب المسلمين الكريم بصورته الشفوية والخطية. وعرفت

صورته الشفوية باسم « القرآن » (أي المرتل) ، وصورته الخطيـة باسم « الكِتاب » (أي المخطوط) .

وفي باديء الأمر لم توضع الآيات المدونة بالترتيب بل ولم تجمع معاً ذلك لأنهم كانوا يتوقعون نزول آيات اخرى . وبمضي الوقت بدأت تنمو مجموعات شتى من الآيات وتكون وحدات مستقلة كما أضيفت آيات اخرى بموجب تعليمات النبي الذي كان يسير حسب اوامر الملاك جبريل . ومع ان النصوص كانت متفرقة هنا وهناك في صورها الخطية إلا انها كانت مرتبة في عقل النبي وعقول الأمناء : يحفظون كل آية في مكانها الصحيح من الكتاب . وفي عهد النبي كان هناك مئات من اصحابه ، هم « حفظة القرآن » تخصصوا في تلاوة الكتاب ومعرفة كل سورة منه في موضعها الصحيح عن ظهر قلب .

وعند وفاة النبي كان القرآن محفوظاً في عقول الأمناء وفي المخطوطات . وكانت كل سورة من القرآن ـ في صورته الشفوية ـ كاملة وفي مكانها الصحيح المعروف بها اليوم ، أما في صورته الخطيـة فلم تكن سوى وثائق متفرقة مدونة على مواد مختلفة عديدة . وفي خلال العام التالي لوفاة النبي ﷺ لم يقلق أحد بصدد الصورة الخطية للكتاب فقد كان هناك عـدد لا يحصى من حفظة القرآن ـ وكأنهم نسخ حية للقرآن كاملاً في صورته النهائية . وما ان انقضى اول عام على وفاة الرسول حتى كان قد قتل سبعون واحداً من حفظة القرآن في معركة مع مسيلمة ، النبي الكذاب ، وأصبح واضحاً ضرورة حماية الكتاب حفظاً له وحرصاً عليه من الضياع ، وذلك بجمع الوثائق الخطية في كتاب يسهل تداوله والرجوع إليه . وكان عمر اول من فكر بجمع القرآن ، وكان زيد بن ثابت اول من نفذ الفكرة ، وزيد هذا من حفظة القرآن الذي شهد النبي يتلو القرآن لآخر مرة ، وهو رجل عرف بذكائه وكفاءته ونزاهة ذمته وطهارة وجدانه .

وتحت اشراف زيد بن ثابت تمّ تقرير الصيغة الخطية الصحيحة ، فلم تدرج

فيه سوى الآيات التي شهد شاهدا عدل بأنها سمعاها من فم الرسول عند إملائه إياها ، وانها سمعاها كذلك من الرسول في التلاوة الأخيرة . وتتميز هذه المجموعة الرسمية عن النقل من أفواه الناس بالحزم المطلق والشدة الصارمة مما أخرج منه الشروحات بل وعناوين السور . وبعد أن تم تدوين القرآن بصورته النهائية عهد به الى الخليفة الأول ابي بكر . وعهد به هذا الى عمر عندما أوصى إليه بالخلافة . وعهد به عمر ـ قبل وفاته ـ الى ابنته حفصة إحدى نساء النبي ، لأنه لم يكن قد تم اختيار الخليفة الثالث آنذاك .

إن الصيغة الخطية للقرآن وهي المعروفة في العالم يعود تاريخها الى الخليفة الثالث ، عثمان ، الذي أخذ القرآن من حفصة وأمر اربعة من امناء السر أن يكتبوا منه نسخاً بعدد المدن الكبرى في الامبراطورية الاسلامية ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت طبعة عثمان هي الطبعة الوحيدة المتداولة في العـالم الإسلامي .

منذ الأيام الأولى والسؤال يتردد على الألسنة هل ان القرآن من أصل إلهي او بشري ؟ والجواب الواضح الصريح الثابت هو ان القرآن من عند الله بالذات ، وهو ليس من كلام النبي في شيء . يشير القرآن الى النبي بصيغة « الضمير الغائب المفرد » او يخاطبه مباشرة فيقول له : « يا أيها النبي ، يا أيها الرسول ، إنا أوحينا إليك ، إنا بعثناك ، افعل ، اقرأ .. » .

هذه هي لغة القرآن .

إن البرهان المباشر على ان القرآن من عند الله يتضح جلياً من بين ثنـايا الكتاب نفسه[1] ، ويبدو ذلك من الظاهرة الخاصة التي كانت ترافق تنزيل

---

(١) « آلر ، كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربهم الى صراط العزيز الحميد » (ابراهيم : ١) . وقال الله تعالى : « قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين » (النحل : ١٠٢) . وقال ايضاً : « وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين » (الشعراء : ١٩٢ ـ ١٩٤) .
« المترجم »

لقرآن كما شهدت بذلك الأحاديث الصحيحة. إن الذين عاصروا النبي يشهدون على العلامات المرئية والملموسة والمسموعة للظواهر الغامضة التي كانت ترافق لتنزيل مما يثبت المصدر الحقيقي للقرآن ويفتح عيون الباحثين عن الحقيقة ، ففي حضور روح التنزيل (جبريل) كان وجه النبي يتألق كأنه مرآة صافية ، ويخيم الصمت ، وينقطع الحديث ويبدو الرسول كأنه شارد الفكر ، ويرتخي جسده كأنه في سبات ، ويسمع حواليه أزيز غريب ، كذلك الأزيز الذي تحمله اسلاك الهاتف بحيث لا يسمعه واضحاً ويتفهمه سوى من يتنصت عليه ، ولم تكن هذه الظاهرة طوع اختياره او بمحض إرادته ، إذ لم يكن بقادر على تجنبها إذا وقعت ، ولا على تهيئتها إن أراد تلقي رسالة سماوية ، وكثيراً ما كان النبي ﷺ يطلب الوحي دون أن يجاب الى طلبه ، وأحياناً كان ينقضي شهر او اكثر حتى تقع هذه الظواهر العجيبة ، تأتي فجأة وتختفي بغتة ، يستمع الحاضرون بعدها الى آيات رائعة[1] .

إن اسلوب الكتاب الأدبي ومحتوياته لبرهان قاطع على ان القرآن من عند الله ، ولكن قبل النظر في ذلك البرهان فلنلتفت الى الجدل الذي يحاولون به التدليل على أن القرآن أصله من الإنسان ، وإنه لما يشرف الإسلام ان يكون القرآن قد سجل جميع الافتراضات ـ المعقولة منها وغير المعقولة ـ التي حاول معاصرو الرسول إثبات مزاعمهم بوساطتها من ان القرآن أصله من الانسان ، فلو كان اصله من الإنسان لوجب أن يكون من بيئة محمد

---

(١) عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله (ص) فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ، فقال رسول الله (ص) أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول . قالت عائشة رضي الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه ، وان جبينه ليتفصد عرقاً .

(التجريد الصحيح لأحاديث الجامع الصحيح – ١/٥)

« المترجم »

جاء من أديان اخرى في تلك البيئة ، او من تأمل وخواطر ذلك الانسان الذي ألّفه . فلنفحص إذن فعاليات النبي قبل ان يبعث رسولاً ، وخلال فترة رسالته ، لنرى ما يمكن ان يكون قد تعلم من المحيطين به أو من تأملاته الخاصة .

لا حاجه بنا للقول بأنه لم يكن هناك بين عقائد اهل مكة وطقوسهم ـ في بدء الاسلام ـ وبين تعاليم القرآن اي شبه ، وليست هناك علاقة بين نظام التوحيد المطلق ـ وهو أكمل فلسفة خلقية وأنقاهـــا جاء بها كتاب المسلمين المقدس ـ وبين الجهل والوثنية وخزعبلات عبادة الأصنام وطغيان المادة ووأد البنات ومضاجعة المحارم (الاهل المحرم الزواج بهن) واكراه الفتيات على الزواج للاستيلاء على صداقهن ، وأكل اموال اليتامى ، وعدم الاكتراث بالفقراء واحتقار الضعفـــاء ، وهي ما كانت تتميز به مكة في تلك الأيام .

لقد بذلت جهود لاظهار تعاليم القرآن مماثلة لتعاليم الصابئة ، وهي طائفة عرفت في مكة في ذلك الحين ، ولكن الصابئة كانوا وثنيين مشركين يعبدون النجوم والملائكة ، طقوسهم مزيج من الوثنية والمسيحية والمذاهب الاخرى ، وكانوا يحجون ، لا الى الكعبة ، ولكن الى حران في العراق[1] وصلواتهم

---

(١) حران : مدينة تقع اليوم داخل الحدود التركية من شمال سوريا ، وقد كانت منذ الألف الثالث ق. م تحتل مكانة دينية بارزة في شمال بلاد وادي الرافدين ، وكانت مركزاً لعبادة الإله القمر (سن) . وعند الفتح الإسلامي للعراق تجمع فيها الصابئة الذين نزحوا إليها من جنوبي العراق (منطقة السواد) واتخذوها مركزاً لعبادتهم ثم عادوا فنزحوا منها في عهد المأمون عندما نكل بهم .

وكتب عنها ياقوت الحموي في (معجم البلدان : ج ٣ ص ٢٤١ – ٢٤٢) انها « مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة امور وهي قصبة ديار مضر بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان وهي على طريق الموصل والشام والروم .. وكانت منازل الصابئة وهم الحرانيون الذين يذكرهم=